

الفصل الأول

المسلمون والأجانب

بم عبر الأجانب عن المسلمين ؟ : كلمة عرب ومدلولها عند القدماء . مساكنهم وانتشارهم . الشرقيون Saraconi وتفسيرها واتساع مدلولها في العصر المسيحي . الاسماعيلية ومدلولها . الاسماعيلية ومسلمو المجر والباشقرد . اجتماع ياقوت الحموي بطائفة منهم في حلب في القرن الثالث عشر الميلادي . كلمة المغاربة Mauri واتساع مدلولها .

obeykandi.com

استخدم الأجانب اصطلاحات مختلفة للدلالة على المسلمين ، سواء أكان ذلك في الأسماء أم في النعوت ، وظهرت هذه المصطلحات خلال كتاباتهم وأحاديثهم عن الإسلام والمسلمين في مختلف العصور ، منها ما كان جائراً ومنها ما جاء معتدلاً ، بل إن منهم المنصف الذي لم يخضع لشيء سوى النزاهة العلمية ، فلم يتجاوز منطق الواقع التاريخي .

وأول ما يلفت النظر كلمة «عرب» ، وهذه أطلقت وأريد بها قديماً ، الدلالة على سكان الصحراء أو البدو ، بل إن هذه الكلمة أطلقت كذلك على البادية نفسها (١) ، وفي اللغة العبرانية ، دلت لفظة عرب على معنى البداوة (٢) . وأقدم نص وردت فيه هذه الكلمة ، نص آشوري قديم ، يرجع إلى عهد الملك شلنصر الثاني Shalmaneser II الذي حكم حوالي سنة ١٢٦٠ ق . م . (٣) . وتعني لدى الآشوريين غير ما تعنيه في العصور الحديثة ، فهم قد أطلقوها على مشيخة عربية معادية لهم ، كانت تحكم البادية المتاخمة لحدودهم ، وملك هذه المشيخة يومئذ هو جندب أو جنديبو .

(١) جورجى زيدان : العرب قبل الإسلام (مراجعة وتعليق الدكتور حسين مؤنس)

ص ٣٩ - ٤٠ .

(٢) جواد على : تاريخ العرب قبل الإسلام ج ١ ص ١٦٩ - ١٧١ .

(٣) انظر : Hall, H.R. , The Ancient History of the Near East,

P. 584. ;

وفي اللغة الآشورية قرئت كلمة عرب بصورة مختلفة : عرب Arub وعربي Aribi وعريبو Aribu وعرابي Arabi (١) .

ووردت في الكتابات البابلية عبارة : « ماتو أ — را — بي » ، Matu A Ra - Bi ، وهذه تعني « أرض العرب » ، ومثل هذا المعنى ، ورد كذلك ، في النقوش الفارسية ، وفي هذه النقوش حددت أرض العرب بالصحراء السورية وصحراء سيناء . كذلك جاءت كلمة عرب وبلاد العرب في الشعر الإغريق ، غير أن تحديد المكان تحوطة الأساطير . وقد ذكر هيرودوت Herodotus — المتوفى حوالى عام ٤٢٥ ق . م ، أن العرب هم سكان المنطقة الواقعة بين مصر وفلسطين ، أى شبه جزيرة طور سيناء ، أما المؤرخ اليونانى كسنوفون Xenophon المعاصر لهيرودوت ، وتلميذ سقراط ، فقد درس كلمة عرب دراسة مستفيضة وحدد الصحراء العراقية ، بصفة خاصة ، بأنها مسكن أولئك العرب (٢) .

أى أن العرب في عرف القدماء ، زمن الفراعنة والآشوريين والبابليين والفيلقيين والإغريق ومن عاصرهم ، هم أولئك البدو الذين استوطنوا المناطق الشمالية من الجزيرة العربية (٣) ، وهذه المناطق هى التى يحدها نهر الفرات شرقاً والنيل غرباً ، ولعل تحديد هذه المساكن ، جاء نتيجة احتكاك الدول التى سادت فيها ، فى تلك الأزمنة ، بأولئك السكان ، ولم تتوغل هذه الدول فى قلب الجزيرة العربية ، الموطن الأصلى للساميين .

(١) جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ج ١ ص ١٦٩ — ١٧١ :

(٢) Nöldke , Th. , The Scope of Influence of Arabic History (In Historians' History of the World, Vol. VIII) PP. 2-3

(٣) Grousset, R. , L'Empire Du Levant, PP. 91-92 ,

Goubert, p., Byzance Avant L'Islam, P. 249 sqq.

والمعروف أن العرب ، أهم فروع الجنس السامي القديم ، الذي استوطن آسيا ، ويعتبر المزرخون أن بلاد العرب أوشبه الجزيرة العربية ، هي موطن الساميين الأصلي ، ويفسرون ذلك بأن أواسط بلاد العرب ، ولا سيما نجد ، هي التي أمدت منطقة الهلال الخصيب بسكانها ، وصبغتها بالصبغة السامية ، إذ لا يعقل أن ينتقل سكان الجبال أو الزراع المستقرون من حياة الاستقرار ، المتحضرة نسبياً ، إلى حياة البداوة والنقلة ، بل المعقول أن يحدث العكس ، ولما كانت الحياة الأولى للشعوب السامية بدوية ، فلا بد وأن يكون موطنها الأصلي صحراوياً ، وهو جزيرة العرب . وقد ثبت أن معظم المدن والقرى ، في العراق والشام ، من إنشاء العناصر البدوية التي استقرت وأصلحت الأراضي واستغلتها ، وكذلك اشتغلت بالتجارة (١) .

الراجع إذن أن الجزيرة العربية هي الموطن الأصلي للساميين ، وأن هجرات أو موجات بشرية خرجت منها عبر القرون المختلفة منذ أقدم العصور (٢) .

على أن الأجانب لم يقتصرُوا على استعمال كلمة عرب للدلالة على العرب وعلى المسلمين بعد ذلك ، بل أطلقوا أيضاً كلمة « سراكيني » للدلالة على العرب والمسلمين . وورد هذا اللفظ في اللغة اليونانية : Saracenes ، كما ورد في اللغة اللاتينية Sarscenus في صيغة المفرد ، والجمع Saraceni . وقد أراد اليونان والرومان بهذه الكلمة : القبائل العربية المقيمة على حدود الإمبراطورية الرومانية في بادية الشام والأطراف

(١) جواد علي ج ١ ص ١٥٠ - ١٥٧ .

(٢) راجع فيليب حتى : تاريخ العرب (ترجمة محمد مبروك تافع) ج ١ ص ١٢ - ١٦

Nöldke, Op. Cit. P. 8

الشماليه للجزيرة العربية . وفي شبه جزيرة سيناء ، وكانت هذه القبائل كثيرة الإغارة على حدود الإمبراطورية (١) . غير أن اليرنات والرومان لم يكونوا مبتدعين لهذا المصطلح ، وإنما نقلوه عن العبرانيين ، فهم الذين استخدموه وأطلقوه على القبائل الإسماعيلية — نسبة إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام — المقيمة في شرقي فلسطين والشام ، وكانت هذه القبائل تحيا حياة بدوية (٢) .

اتسع مدلول هذا اللفظ في العصور المسيحية الأولى ، فاستعمله المؤرخ إيزوب Eusebius (٢٦٤ — ٣٤٠ م) (٣) ، مرادفاً للعاصمة الإسماعيلية الواردة في التوراة ، ونعني أولئك الذين كانوا يعيشون في براري منطقة قادش بشمال الشام (٤) .

وخلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين ، انتشر استعمال هذه الكلمة ، فأطلقها المسيحيون الغربيون على أعدائهم من العرب والمسلمين عامة ، وظال هذا اللفظ يستعمل في غربي أوروبا طوال العصور الوسطى ، وكذلك في العصور الحديثة ، ويطلق على كل عربي ومسلم دون استثناء أو تحديد

(١) Encycl. Britannica . Art. 'Saracens'.

(٢) جواد على ج ١ ص ١٨١ .

(٣) المؤرخ إيزوب أسقف ومؤرخ فلسطيني الأصل ، عاش زمن الإمبراطور قسطنطين الأكبر (٣٠٦-٣٣٧ م) ، ومن مؤلفاته المعروفة : التاريخ الديني Historia Ecclesiastica وكتاب سيرة قسطنطين Vita Constantini وغيرها . وله دور مشهور في تاريخ المجامع الدينية التي عقدت زمن هذا الإمبراطور ، لمناقشة المذاهب الدينية المتعارضة في ذلك الوقت وهي الأريوسية والاثناوسية . (انظر : Lindeay , T. Byzantium into Europe, PP. 198-5; Hardy E. R. , Christian Egypt, P. 46 sqq.; Encycl. of Religion of Ethics, Arts. Arius of Athanasius.

(٤) جواد على ج ١ ص ١٧٧ — ١٧٨ ، Nöldke, Op cit. . P. 3

أما أصل هذا المصطلح واشتقاقه ، فقد قيل الكثير بصدده ، فذهب بعض علماء أوربا المسيحية في العصور الوسطى ، إلى أنه مكون من كلمتين هما : سارة (زوجة إبراهيم عليه السلام) وقين (بمعنى عبد) ، فيكون المعنى « عبيد سارة » (١) ، وهذا غير صحيح ، لأن سارة أم إسحق ، الذي بشر به إبراهيم ، بعد أن كبرت سنه ، وكانت سارة عاقراً وهي عجوز ، ولم تكن أم إسماعيل جد العرب المستعربة (٢) . ويرد الأب أنستاس الكرملّي هذا اللفظ إلى مخلاف بالين يسمى « سرحة » ، ويقول البعض ، إنه تحريف لكلمة « سرق » ، ومنه السراق والسارقون ، نظراً لكثرة سطو هذه القبائل على حدود الإمبراطورية الرومانية (٣) . أما الفرنسيون فيجعلون هذا اللفظ مشتقاً من كلمة سراز Sarrasin بمعنى « الخنطة السمراء » (Blé Noir) ، لأن أغلب العرب سمر الوجوه (٤) ، وأطلقوه على جميع المسلمين في كل مكان .

ويرجح أن كلمة « سراكيني » تصحيف لكلمة « شريقين » ، وهذه اللفظة علاقة بما يطلق اليوم على بعض العرب من اسم « شروك أو شروكية أو شروق » ، باصطلاح أهل نجد والعراق ، وقد سمعت الحجازيين في الحجاز ، يستخدمون كلمة شروق وشرقي ، ويعنون بها سكان نجد أو النجديين ، وهم القادمون من شرق الحجاز أي من نجد . بل إن الحجازيين يستعملون هذا المصطلح كذلك ليميزوا به نوعاً من النعال ، تعود النجديون أن يلبسوه فيقولون « شرقية » .

(١) جواد علي ج ١ ص ١٧٨ .

(٢) شكيب أرسلان : تاريخ غزوات العرب ص ٢٠٧ ، انظر : عبد الوهاب النجار

قصص الأنبياء ص ٢٩ وما يليها .

(٣) جواد علي ج ١ ص ١٧٩ .

(٤) شكيب أرسلان ص ٢٠٧ .

ومما يزيد في رجاحة هذا التخريج ، أن بطليموس الجغرافي الإسكندري Claudius Ptolemaeus (ت ١٥٠ ق . م) ، أشار إلى قبائل عربية من هذه القبائل ، انفصلت عن شقيقاتها وارتحلت إلى المغرب ، وأطلق عليها كلمة « المغاربة » Machurebe^(١).

هذا واستخدم الأجانب كلمة « الإسماعيلية » ، للإشارة إلى العرب وإلى المسلمين ، ولا شك أن لهذا المصطلح أساساً ، فإن قسماً كبيراً من العرب ، كان من نسل إسماعيل بن إبراهيم ، وهؤلاء هم العرب المستعربة ، وهم الذين ظهر بينهم الإسلام ، ويعرفون كذلك بعرب الشمال أو العدنانية .

غير أن كلمة الإسماعيلية ، لم يقتصر استعمالها للدلالة على العرب . بل أطلقت على المسلمين كذلك . والمعروف أن الإسماعيلية ، كما نفهمها نحن المسلمين اليوم ، هي طائفة من طوائف الشيعة ، تنسب إلى الإمام السابع إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب^(٢) .

واشتهرت طائفة من المسلمين في المجر باسم الإسماعيلية ، وذلك خلال العصور الوسطى ، لكنها انقرضت الآن لقلة عددها واندماجها التدريجي في المجرين ، فضلاً عما نزل بها من اضطهادات وعسف وإرغام على الارتداد .

(١) جواد علي ج ١ ص ١٨١ ، مؤنس : المسلمون في حوض البحر الأبيض (مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية) م ٤ سنة ١٩٥١ ، ص ١٠٢ .

(٢) انظر أحمد أمين : فجر الإسلام ص ٣١٧ - ٣٣٢ ، ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢٠٨ - ٣١٥ ، ابن حزم : الفصل في الملل والأهواء والنحل ج ١ ص ١٩٥ وما بعدها ، وبهامشه : الشهرستاني : الملل والنحل (نفس الصفحات) .

ويبدو أن هذه الطائفة ليست من العرب ، وربما كانت من البلغار أو الباشقرد^(١) الذين اعتنقوا الإسلام ، وعاشوا في المجر زمن أسرة أرباد Arpad المالكة (٨٩٦ - ١٣٠١ م)^(٢) عرف هؤلاء بين المجرين باسم الإسماعيلية ، لإسلامهم ، ويقول أبو الفداء عن الباشقرد ، إنهم ترك جاوروا اللمانين ، وهم مسلمون من جهة فقيه تركاني بصرم بشرائع الإسلام^(٣) ، ويزيد القلقشندي على ذلك بأن غالبهم نصارى ، وفيهم مسلمون ، وفي باشقرد قاض مسلم معتبر^(٤) .

زاول هؤلاء المسلمون في بلاد المجر (لهنقر) ، أعمالا مختلفة ، من تجارة ووظائف في الدولة ، على أن أكثرهم مارس التجارة ، كما اشتغل الكثير منهم في الجندية^(٥) ، حتى كان منهم من ولى حراسة قلعة بشت Besth — إحدى الجزأين اللذين تتكون منهما بودابست عاصمة جمهورية المجر الحالية — وفي الحملة التي بعثها ملك المجر جيزا الثاني (Geza II) (١١٤١ - ١١٦١ م) لمساعدة الإمبراطور فردريك بارباروسا عام ١١٦١ م ،

(١) وردت كلمة باشقرد بصور مختلفة : باشقرد — باشجود — باشقرد — باشقرد — باشقرد — باشقرد — باشقرد . وهي مكونة من كلمتين : باش بمعنى رأس ، قورت بمعنى ذئب أو دود أو نحلة (بالتركية) .

(٢) انظر ابرتولد W. Barthold « باشقرد » في دائرة المعارف الاسلامية — الترجمة العربية — ج ٣ ص ٢٨٦ - ٢٨٨ ، وراجع صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٢٠ ، أبو الفداء : تقويم البلدان ص ٢٠٦ .

(٣) ظل التاج في هذه الأسرة أكثر من ثلاثة قرون ، وكانت أسرة لانتاوية استبدادية عضدتها الكنيسة فأكملت لها وسائل القهر والظفران (راجع : Brooke, Z. N., & History of Europe (911-1198) PP. 368 - 368 , Orton P. , A History of Europe (1198 - 1318), R 172,)

(٤) تقويم البلدان ص ٢٠٦ .

(٥) صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٢٠ .

(٥) انظر ما يلي .

يقال إن عدة جنود الإسماعيلية الذين ضموا إلى هذه الحملة ، باغوا نحو أكثر من ٥٠٠ جندي^(١)

غير أن مسلمي المجر تعرضوا لعنت الملوك لا سيما الملك لادسلاس الأول (Ladislav I ١٠٧٧ - ١٠٩٥ م) ، إذ أصدر أمره إليهم باعتناق المسيحية ، ومع ذلك ظل أغلبهم يخفي إسلامه ، وخشى الملك كولومان Koloman (١٠٩٥ - ١١١٤ م) من ازدياد نفوذ الإسماعيلية في بلاده ، فأمر على أثر تربيته للعرش ، بالازيد الإسماعيلية في كل قرية من القرى التي يقيمون فيها بأطراف المجر الجنوبية ، على النصف من سكان القرية ، وأجبرهم كذلك على تزويج بناتهم من المسيحيين^(٢) .

وقد التقى ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ : ١٢٢٩ م) بطائفة من هؤلاء المسلمين في حلب عام ٦٢٤ هـ : ١٢٢٦ م ، كانوا قد جاموا ليتفقهم في المذهب الحنفي ، فسأل رجلاً منهم (استعقله) - على حد تعبيره - عن بلادهم وأحوالهم ، فأجاب :

« أما بلادنا ، فمن وراء القسطنطينية ، في مملكة أمة من الإفرنج يقال لهم الهنكر - أي المجرىون Magyrs - ونحن مسلمون ، رعية لملكهم . في طرف بلاده نحو ثلاثين قرية ، كل واحدة تكاد تكون بايدة ، إلا أن ملك الهنكر لا يمكننا أن نعمل على شيء منها سوراً ، خوفاً من أن نقضى عليه ونحن في وسط بلاد النصرانية ، فشمالينا بلاد الصقالبة ، وقبلينا بلاد البابا ، يعني رومية ، والبايا رئيس الإفرنج ، هو عندهم نائب المسيح ، كما هو أمير المؤمنين عند المسلمين .. وفي غربيينا الأندلس ، وفي شرقيينا بلاد الروم

(١) انظر Boyce. J. V. , The Holy Roman Empire . pp. 45 , 47

(٢) شكيب أرسلان . غزوات العرب ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

قسطنطينة وأعمالها . ولساننا لسان الإفرنج ، وزيئنا زيئهم ، ونخدم معهم في الجندية ، ونغزو معهم كل طائفة ، لأنهم لا يقاتلون إلا بخالفى الإسلام .

ثم سأله ياقوت عن سبب إسلامهم مع كونهم في وسط بلاد الكفر ، فأجاب :

« سمعت جماعة من أسلافنا يتحدثون ، أن قدم إلى بلادنا منذ دهر طويل سبعة نفر من المسلمين من بلاد البلغار^(١) ، وسكنوا بيننا ، وتلطفوا في تعريفنا وما نحن عليه من الضلال ، وأرشدونا إلى الصواب من دين الإسلام ، فهدانا الله والحمد لله ، فأسلمنا جميعاً ، وشرح الله صدورنا للإيمان ، ونحن نقدم إلى هذه البلاد تتفق ، فإذا رجعنا إلى بلادنا أكرمنا أهلها وولونا أمور دينهم . »

سأله بعد ذلك عن سبب حلق لحاهم ، كما تفعل الإفرنج فقال : « يحلقها منا المتجندون ، ويابسون لبسة السلاح مثل الإفرنج أما غيرهم فلا . . . »

وختم الإسماعيلي حديثه مع ياقوت بتعريفه بمقدار المسافة بين حلب وبلادها ، وهى نحو خمسة شهور^(٢) .

وهناك كلمة « الموريين » ، Mauri ، وهذه أطلقها الأجانب على العرب وعلى المسلمين عامة ، وأصل هذه الكلمة هى اللفظة اليونانية Maupoi ويقابلها فى اللاتينية Mauri ومعناها « الناس السود » ، Black Men^(٣) ،

(١) تسمى كذلك « بلاد بلار » (انظر تقويم البلدان لأبى الفداء ص ٢١٦ ، ٢١٧ صبح الأعشى ج ٥ ص ٤١٧) .

(٢) معجم البلدان ج ٢ ص ٣٧ - ٣٩

Encycl. Britta. Art. "Moors".

(٣)

وبهذا المعنى وردت في الشعر الإنجليزى القديم (Black-a-mov)
« أسود كالمور » .

ويقول البعض ، إن لهذا اللفظ صلة بالكلمة العبرية والفينيقية ماهور
Mahur بمعنى غربى Western ، فيكون المعنى مغاربة ، ويشتهر البعض
الآخر من الكلمة ماهير Mahir وهي تحريف لكلمة أماسير Amāsir
وجمعها إيمازير Imāzir أو ماسير Masir ، ومعناها حر Free وهي صفة
لحقت بشخص من البربر اسمه أمازيغ Amazigh^(١) .

والمعروف أن الرومان أطلقوا كلمة مورى Mauri في العصر
الكلاسيكى ، على قبائل البربر المقيمة في شمالى غرب أفريقية ، وسموا
المقاطعات التى يقيمون فيها باسم مرطانية Mauretania نسبة إليهم . وحدود
هذه المنطقة في العصر الرومانى ، من مدينة سالا Sala المطلة على المحيط
الأتلسى غرباً — شمالى الرباط الحالية — إلى شرقى مدينة سالدائى Saldae
وهما بجاية Baugia الحالية — شرقاً بالجزائر . أى إن موريتانيا ، شملت
في العصر الرومانى ، ما هو اليوم المغرب وبعض الجزائر^(٢) .

وقد ظهرت هذه التسمية لأول مرة في التاريخ خلال الحرب البوجرثية
Jugurthine War (١١٠ — ١٠٦ ق.م) ، وهى التى شبت بين بوجرتا
Jugurtha ملك موريتانيا وبين الرومان^(٣) .

Ibid.

(١)

Cary, History of Rome, p. 308

(٢) انظر :

(٣) بدأت هذه الحرب عام ١٠٩ ق.م بقيادة القائد الرومانى كيكيليوس ميتيلوس
G. Caecilius Metellus الذى حطم حصون بوجرتا وفتح كيرتا Ciria عاصمته — وهى
قسنطينة الحالية بالجزائر — لكنه لم يخضع تماماً ، وتكررت حملات الرومان حتى انتصر
عليه سلا Sulla وأسرته واقتاده إلى روما عام ١٠٥ ق.م .

(راجع Cary, Op. Cit., PP. 303 - 306)

وليس أولئك الموريون سوى قبائل البربر على اختلاف أسمائها وفروعها ، وهى القبائل التى قيل إنها وفدت أصلاً من الشرق (١) . واعتنق هؤلاء الإسلام بعد الفتح العربى الإسلامى لشمالي أفريقيا فى القرن السابع الميلادى ، وتقربوا واشتركوا مع العرب فى الفتوح ، كما اندمجوا معهم بالمصاهرات .

ولذا كان الكثير من فاتحى أسبانيا ، من هؤلاء البربر المسلمين ، واستقر الفاتحون المسلمون من العرب والبربر فى أسبانيا ، وازداد اختلاطهم ، كما اختلطوا بالأسبان الأصليين ، وهم بقايا السقوط الغربيين والأسبان الرومان ، وعن هذا الاختلاط ، نتجت طبقة جديدة مولدة : من العرب والبربر والأسبان ، وهذه الطبقة المولدة هى التى اشتهرت فى العصر الإسلامى باسم المور Maurs وهم يختلفون كثيراً عن البربر الأصليين فى شمالي أفريقيا ، حتى إنه عندما طرد هؤلاء المور نهائياً من أسبانيا ، كانوا يتميزون تماماً عن البربر الأصليين ، حتى كان يطلق عليهم أحياناً اسم « الأندلسيين » .

أما العنصر البربرى النقى ، فيمكن التماسه فى المناطق الجبلية فى مراکش ولذا كان إطلاق هذا المصطلح على سكان مراکش عامة غير دقيق ، والأصح أن يطلق على سكان المدن الساحلية فى شمالي أفريقيا ووديان مراکش . ولا تزال كلمة المور تطلق على السكان الذين يتكلمون اللغة العربية

(٤) انظر : شمالي أفريقيا والوندال للمؤلف (مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية -

العدد التذكارى ١٩٦٢)

(م ٢ - المسلمون فى أوروبا)

وينتشرون في المنطقة الفسيحة الممتدة من مراكش إلى السنغال وإلى النيجر حتى تمبكتو والصحراء الغربية .

والخلاصة أن المور جنسياً عنصر مولد أو مختلط من العرب والبربر والأسبان ، مع غلبة الدماء العربية على سائر الدماء الأخرى ، ولذا كان من الخطأ الشائع اعتبار المور جنساً أسود ، فهو لاء بيض البشرة ، مع عدم إغفال تأثير الشمس فيهم لعدة أجيال وقرون في تلك المناطق ، وسكان المدن من المور ، يشبهون الأوربيين تماماً . والمور النموذجي في مراكش ، عنصر جميل ذو بشرة قمحية وعيون سوداء وشعر أسود ناعم ، وعلى قدر من الذكاء ، وهم اجتماعيون ، متعصبون لعقيدتهم الإسلامية ، ويعتبرون أن دور عبادتهم أما كن مقدسة يحرم على اليهودى أو المسيحى الدنو منها ، ثم هم قساة يحبون الانتقام ، ولهم دور كبير في تهديد سواحل أوربا الجنوبية (١) ، حتى كانوا أخطر من غزا تلك الجهات (٢) . وهؤلاء وسلاطنتهم من بعدهم ، صاروا عدة البحرية الإسلامية العثمانية في البحر المتوسط في القرن السادس عشر الميلادى وما تلاه .

ومع هذا التحديد لكلمة مور ، فإن الغربيين كثيراً ما يستخدمون هذا المصطلح للدلالة على العرب وعلى المسلمين عامة ، ولهم في ذلك بعض السند ، وهو أن المسلمين الذين احتكوا بهم في أوربا كانوا في أغلبهم من هذا العنصر المولد .

(١) انظر ما يلى .

وفرق بعض المحدثين من الكتاب تفرقة معقولة، في استخدام مصطلحي « السراكين ، و « المور » ، فاستخدماه استخداماً جغرافياً أو إقليمياً ، وذلك بأن عبر عن المسلمين الشرقيين ، سكان البلاد الإسلامية الداخلة في نطاق الدولة العباسية ، بكلمة السراكين ، وعن المسلمين الغربيين رعايا الدولة الأموية التي قامت بالأندلس ، بكلمة « المور » . ونص عبارته :

« نجد في نهاية القرن العاشر الميلادي ملكة الأمويين The Moors العظيمة في حوض البحر الأبيض الغربي ، بينما تسود في الطرف الشرقي لهذا البحر ، الإمبراطورية الشرقية الكبرى ، وهي إمبراطورية العباسيين (١) »
The Saracens

ونظراً لهذه الاختلافات الدقيقة بين المصطلحات التي عبر بها الأجانب عن العرب والمسلمين ، مما يدل على خطورة التعميم أو عدم دقته أحياناً ، فإن بعض المحدثين من الكتاب الأجانب ، استخدموا اصطلاحات عامة شاملة وهي كلمة « المسلمين » Moslems وكذلك استخدموا كلمة « المحمديين » Mohamadans ، للدلالة على المسلمين عامة ، دون نظر إلى جنس أو لون ، وهذا لعمري ، أدق المصطلحات وأوقاها ، لأنها تطوى فيها كل خلاف جنسي أو عنصري أو لوني ، مما يتفق وطبيعة الإسلام الأصلية .

أما المتعصبون الذين لا تخفى قيمة ما يكتبون ، منهم من نعت المسلمين بالبربرة ، فسموهم برابرة Brabarians مثل الكاتب الفرنسي فرديناند لو F. Lot ، الذي ضم الفتوح الإسلامية ونشر المدينة الإسلامية والدين

الإسلامى إلى غزوات البرابرة التخريبية من الجرمان والمجريين^(١) . وسار على هذا النحو كتاب إنجلينز قدماء ومحدثون، أمثال: هنت Hunt^(٢) وبروك Brooke^(٣) وسكوت Ccott^(٤) وغيرهم ، رغم إنصاف الأخير فى كثير من مواضع كتابه .

على أن ألفاظ الكفر والإلحاد ، تبادلتها الجانبان الإسلامى والمسيحى خلال فترات الصراع ، ولاسيما زمن الحروب الصليبية .

-
- | | |
|--------------|--|
| (١) وكتابه : | Les Invasions Germaniques / Paris 1935 |
| (٢) وكتابه : | History of Italy (Lord. , 1878) |
| (٣) وكتابه : | A History of Europe (Lord 1947) |
| (٤) وكتابه : | A History of the Moorish Empire in Europe (Lord. 1904) |